في صباحِ يومٍ هادئ،،أو هكذا بدا على الأقل..

تجلسُ مريم بجانبِ النافذة،عيناها معلّقتان على الشارع

ترى أطفالاً ينتظرون حافلة المدرسة، جارٌ يُحيّي آخر

رجلٌ في عجلةٍ من أمره قاصداً الذهاب إلى عمله، وامرأةٌ تركب سيارتها الفارهة ربمّا تقصد عملها أو التسوق .

كلّها مشاهد تبدو عاديّة، لكنها بالنسبة إلى مريم أشبه بصورٍ من حياةٍ لم تعد تمتلكها؛بعد أن كانت تعيش حياة يحلم بها الكثير

فقد كانت مريم فتاة قويةً، ناجحة، رغم صغر سنها ،صنعت لنفسها اسماً كالعلم في عالم الاقتصاد والاستثمار، لم تكن مجرّد ابنة رجل ذو مالٍ ونفوذ ، بل كانت ذكيّة جريئة تعرف كيف تحوّل المال إلى نفوذ وكيف تديرُ استثماراتها بلمسة خاصة جعلتها تتفوق على غيرها ومن ضمنهم إخوتها من أبيها الذين كانوا يتساءلون دوماً، كيف تستطيع مريم تحقيق كل هذا النجاح دون الاعتماد على اسم أبيها، الذي كانت تفوقه نجاحاً ومالاً وذلك بفضل عقلها وحنكتها.

في نفس هذا اليوم يدخل والدها إلى الغرفة، خطواته هادئة لكنها تحمل ثقلاً، ينظر إلى مريم ثم يجلس بصمتٍ على الأريكةِ المقابلة لها.

– الأب بصوتٍ هادئ :

"صباح الخير، مريم .

(لا تردّ مريم فوراً، فقط تدير عينيها نحوه للحظة ثم تعاود النظر إلى النافذة)

– مريم بحزنٍ وهدوء :

"هل هو صباح جيّد حقاً يا أبي ؟"

(يتنهّد الأب يحاول أن يبتسم)

"الشمسُ مشرقة والهواء لطيف ، وها هي قهوتك كما تفضلين

أعددتها لكِ بنفسي ، لذا نعم أعتقد أنه صباحٌ جميل.

( مريم بابتسامة باهتة)

" أشكرك يا أبي ، بالنسبة لك قد يكون صباح جميل

أما بالنسبة لي،، كلّ صباحٍ وكلّ يومٍ يشبه الذي قبله برفقةِ هذا الكرسي المتحرك ."

يصمت الأب للحظة، يشيح بنظره عنها ، وكأنه يبحث عن كلمات ٍ مناسبة تهوّن الصعب عليها .

فقد كان والدها هو اليد التي لم تتركها يوماً، كان يعلم أن الكلمات وحدها لا تكفي،ولكن وجوده بحدّ ذاته رسالة حبّ وطمأنينة لها.

– الأب:

"أعلم أنّ الأمر ليس سهلاً ،لكن تلك مشيئة الله يا مريم ، وأنا بجانبك دائماً ، سأساندكِ بكل ما أوتيت من قوة طالما حييت يا ابنتي.

(ينهض الوالد مُبتسماً ويحضنها بكل جوارحه )

– الأب: "سأخبر العاملة الجديدة بإعداد الفطور الذي تحبيه يا حبيبتي.

وغادر الغرفة.

أمّا هي فبقيت هناك، عيناها لم تعد تتعلق بالشارع الخارجي بل بظلّها المنعكس . لم يكن كجرّد انعكاس،، بل كان صورة لفتاة يملؤها اليأس والأمل في آنٍ واحد .

في مساءِ يومٍ هادئ، طلب والد مريم من الطهاةِ تحضير وجبة عشاء مميزة لها ، ليجتمعوا جميعاً مريم ، والدها وإخوتها .

– سامي (الأخ الأكبر) الواثق بنفسه والمبتسم دائماً .

– فهد ( الأخ الأوسط) الأكثر صمتاً وهدوءاً دوماً.

– راشد ( الأخ الأصغر) الأكثر تهوّراً وتوتر دوماً.

كانت ليلة هادئة، طاولة العشاء ممتلئة بأشهى الأطباق ورائحة الطعام تتناغم مع أصوات الضحِكات التي تتردد في المكان .

وتبادل أطراف الحديث عن الأعمال، الاستثمارات، خطط السفر وغيرها من المواضيع،وكان أكثر ما يتحدث به والد مريم هو التخطيط لعلاجها ولو كلّفه ذلك كل ثروته.

كانت مريم جالسة على كرسيها المتحرَك ووالدها وإخوتها من حولها حريصون على الاهتمام بها وبما تود.

وبعد هذا العشاء الدافئ نقل والد مريم ابنته إلى غرفتها وبقي إخوتها يتسامرون حتى وقتٍ متأخر من الليل.

أمّا مريم فقد أصابها الأرق ، ففكرت في الذهاب إلى حديقة الفيلا لاستنشاق هواء عليل وتأملّ النجوم والقمر الذي تحبّه ، اقتربت من نافذة الحديقة رأت إخوتها يتحدثون بصمتٍ وهمسٍ شديدين .

سمعت سامي يتحدث مع فهد بصوتٍ منخفض:

"لا تنسى يا فهد أن هذا الموضوع يجب أن يبقى سراً ، نحن بالكاد خرجنا منه بأمان ."

استرقت مريم السمع جيّداً واقتربت من نافذة الحديقة اكثر لتسمع ما تبقّى من الحوار ، فقد أصابها القلق والخوف على إخوتها ، إذ طنّت أنهم يقعون في مشكلةٍ ما.

– سامي لإخوانه :

" سنحاول قدر الإمكان أن نمتلك كل ثروتها، فهي الآن غير قادرة على إدارة أملاكها ."

هذه الجملة جعلت قلب مريم يكاد يتوقف للحظة وعادت أدراجها بكرسيها المتحرّك ويديها ترتجف دون أن تشعر.

كانت تلك الجملة هي الخيط الأول لبداية الطريق، طريقٌ يقودها للحقيقةِ التي سُلبت منها منذ أشهر .

ففي بداية الأمر، كانت مريم قد قبلت التفسير الرسمي لما حصل لها:-

" حادث سيّارة مروّع ، فقدت به السيطرة وانتهى بها الأمر بالشلل النصفي "

لكن هناك شيء بداخلها لم يستطع التصديق، إذ أنها كانت قائدة ماهرة لا تقود بتهوّر ولا تفقد السيطرة بسهولة.

وكلّما أعادت المشهد في عقلها كلما ازدادت شكوكها.

" لماذا لا تتذكر اللحظات الأخيرة قبل الحادث؟

لماذا اختفت بعض التفاصيل من التقرير الرسمي ؟

ولماذا يتجنّب إخوتها الحديث عن الحادث وتفاصيله ؟

هنا وبعد سماع ذاك الحوار من قِبَل سامي وفهد بدأت مريم بالبحث وبجمع خيوطٍ لم تكن تعلم أنها موجودة .

– الخيط الثاني: هاتف مريم القديم .

هنا أرادت مريم البحث عن أي شيء وعن كلّ شيء يُفصح لها عن ذاك الحوار الذي دار بين سامي وفهد .

فأخذت تعود إلى كلّ شيء يتعلّق بتفاصيل الحادث وإلى أي شيء حدث قبله وبعده مباشرةً.

بحثت عن هاتفها (جوّالها) القديم وبدأت تتصفحه..

وجدت صورة بتاريخ ليلة الحادث ( أي قبل الحادث بيوم)

من رقمٍ مجهول من دولة الفلبين.

في الصورة ، سيارتها أمام المنزل وشخصٌ ما تحت السيارة تماماً لا يظهر منه شيء سوى حذائه.

لم تكن تلك الصورة كأي صورةٍ معتادة،كانت كفيلة بدبّ الرعب والتساؤلات في قلب وعقل مريم.

– مريم تتساءل:

ما هذه الصورة ومن هذا الشخص وماذا يفعل؟

ومن الذي أرسلها لي؟ كل ذلك في تاريخ ليلة الحادث تحديداً.

في تلك الليلة لم تستطع مريم النوم وكل ما كانت توده أن تشرق شمس يومٍ جديد ، للبحث عن صاحب الرقم الذي ارسل لها تلك الرسالة.

وفي صباح هذا اليوم جاء والدها إلى الغرفة كعادته،يدقّ بابها بهدوء مُبتسماً:

– الوالد : "صباح الخير يا حلوتي"

اقترب منها أكثر وشعر بأن وجهها ليس على ما يرام ..

– الوالد:" ما بكِ يا مريم ؟ هل أنتِ على ما يرام؟"

– مريم بحذر :" أنا بخير يا أبي ، فقط لم أنم جيّداً ."

– الوالد :" هيا إلى الإفطار يا حبيبتي ."

أخذها إلى طاولة الطعام وكان إخوتها مجتمعين، كانت مريم تنظر إليهم نظرة الخوف والشك جرّاء ما سمعته من حوار الليلة السابقة؛ باتت تشعر بشيءٍ مجهول لا تعلم فحواه ولكن جُلّ ما تشعر به هو عدم الاطمئنان منهم .

ابتسمت مريم كما لو أنّها لم تسمع ولم ترى شيئاً الليلة الماضية

– مريم :" صباح الخير، كيف أصبحتم ، كيف كان العشاء ليلة أمس يا سامي؟"

– سامي بقمّة اللامبالاة: " كان عشاء لذيذ بوجودكم "

أنهى الجميع إفطاره وقصد كلّاً منهم سيارته للذهاب إلى عمله، وخرج والدها أيضاً للقاء أحد الأصدقاء المقربين.

بسرعةٍ غير متوقعة ذهبت مريم إلى غرفتها وبدّلت ملابسها وطلبت سيارة نقل" أوبر" وقصدت إحدى فروع شركاتها وطلبت لقاء موظف من إحدى شركات الاتصالات المهمة .

– مريم :" صباح الخير يا نوّاف ، أود منك أن تعطيني تفاصيل رقمٍ ما من دولة الفلبين للضرورة، إن ساعدتني في ذلك سيكون هذا الشيء طريقةً للوصول إلى حقائق أجهلها منذ أشهر ،ارجوك يا صديقي أن تساعدني في ذلك.

– نوّاف :" لكِ ذلك يا مريم ، زوديني بالرقم "

زودته مريم بالرقم وهي في قمّة الخوفِ والترقّب.

– نواف :" إليشيا سانتوس"

مريم وقد أصابها الذهول وبصوت متردد :

" ماذا تقول؟! إليشيا؟!"

– نوّاف : " نعم إليشيا "

شكرت مريم نوّاف وخرجت من الشركة دون أن تعلم وجهتها القادمة، توقفت بكرسيها المتحرك في مكانٍ ما ، أخذت نفساً عميقاً وبدأت بالسيطرة على دقّات قلبها التي تسارعت عند سماع اسم " إليشيا" .

– الخيط الثالث:

إليشيا الخادمة التي اختفت فجأة بعد الحادث مباشرة ً.

ذهبت مريم إلى مكانٍ خالٍ يشبه التلّة تقريباً، وتواصلت مع إليشيا الخادمة القديمة التي عملت لديهم لسنواتٍ طوال وتم طردها فجأة بعد الحادث مباشرةً.

– مريم وهي تترقب رد إليشيا :

– إليشيا :" ألو ، نعم"

– مريم :" إليشيا؟! كيف حالك يا عزيزتي؟"

– إليشيا :" نعم ، من المتصل؟"

– مريم :" ألم تعرفي من المتصل؟"

– إليشيا: " أعتذر ، لكن الرقم ليس مسجلاً في قائمة أرقامي.

– مريم :" انا مريم إبنة سعود."

– إليشيا بقمّة التوتر والتردد:

" مريم ؟!كيف حالكِ، هل إنتِ بخير؟ ما زلتِ على قيد الحياة يا ابنتي . "

– مريم :" أنا بخير ، لست على ما يرام يا إليشيا ، فقد تعرضت لحادث أليم مفاجئ تسبب لي بالشلل ،ولكنني ما زلتُ على قيد الحياة

– مريم بصوتٍ يرتجف :

"لقد وصلني منكِ رسالة في نفس تاريخ ليلة الحادث يا إليشيا

هل لكِ أن تشرحي لي فحوى هذه الصورة؟!"

– إليشيا بصوتٍ متردد :

" لن أُطيل الحديث يا حبيبتي، أنتِ كنتِ قويّة يا مريم وهذا ما جعلهم يخافون منكِ.

في يومٍ من الأيام سمعت اخوتك يتكلمون:

" يجب أن نمتلك كل ثروتها ويجب أن تتم هذه الخطّة سريعاً "

لم أدرك هذا الحوار جيداً وقتها ، ولكن في يومٍ آخر رأيتهم مجتمعين حول سيارتك في وقتٍ متأخر من الليل يحاولون فعل شيء ما ولكن بتردد، إلى أن نزل راشد تحت السيارة مباشرةً،

هنا شعرت بأن هناك شيء مبهم وغير مريح،فالتقطت هذه الصورة ، حينها لمحني سامي وفهد على النافذة دون علمهم بأمر الصورة غالباً، ركضوا إلى غرفتي ، نقلوني إلى غرفة القبو ، كنت قد أرسلت لك هذه الرسالة .

وبعد أيّام قليلة قاموا بترحيلي تعسّفاً .

لا أستطيع قول المزيد يا مريم ، انتبهي لنفسك يا صغيرتي.

شعرت مريم بأن العالم بدأ ينهار من حولها، لكن القصة لم تنتهي هنا فقد أدركت أن عليها الاستعانة بخيطٍ رابع وهو:

كاميرات المراقبة والتسجيل.

حاولت مريم الوصول بنفسها إلى كاميرات المراقبة وإرجاعها إلى تاريخ ليلة الحادث ولكنها لم تجد شيئاً، أو بالأحرى لم تجد بيانات معينة لمدة أسبوع، كان قد تم حذف بيانات هذا الأسبوع تماماً، تواصلت مع إحدى معارفها وطلبت منه أن يعيد هذه البيانات، فأعاد لها كافة التسجيلات صوت وصورة من قبل الحادث بأسبوع لغاية تاريخه .

كانت تترقب التسجيلات وهي بقمة الخوف ..

إلى أن وصلت لتاريخ ليلة الحادث ، شاهدت اخوتها يقفون بجانب سيارتها يتحدثون بصوتٍ منخفض ، وإذ به ذاك الحوار الخبيث الذي دار بينهم :

– سامي :"هيّا يا فهد ، يجب أن تفعلها .."

– فهد : " لا ، لا أستطيع ،، فأنا أشارككم كل شيء ولكن لا أستطيع تعطيل الفرامل بنفسي."

– سامي:"يجب أن نسيطر على كل ثروتها وكل ما تملك وهذه الطريقة الوحيدة لفعل ذلك."

هنا سقطت الأقنعة ، وأدركت مريم حقيقة ما أصابها وأن إخوتها هم السبب وراء ذلك الحادث الأليم.

بعد انهيار ٍ وحزنٍ شديدين قررت مريم التصرف بذكاء.

– لحظة المواجهة:

في غرفة الجلوس مساءً قد يبدو يومٌ هادئ لكنه مشحون بصمت وتوتر ثقيلين .

تجلس مريم على كرسيها المتحرك أمامها والدها واخوتها ، قد تبدو عليها ملامح الهدوء، في يدها جهاز تحكم صغير وعلى الطاولة أمامها شاشة عرض صغيرة.

( مريم بصوتٍ هادئ لكن مشبّع بالغضب المكتوم :

"قبل أن أبدأ مفاجأتي لكم ، أودّ أن أسأل سؤالاً واحداً "

"لماذا؟"

– راشد ينظر بتوتر : " ما الأمر يا مريم ؟ ماذا تقصدين؟"

( ترفع مريم عينيها إليهم مباشرةً:

" لماذا أردتم إيذائي؟ لماذا خططتم لتحطيم حياتي؟!"

– فهد يحاول التظاهر بالهدوء:"عن ماذا تتحدثين يا عزيزتي؟"

– مريم :"من أين تودون أن أبدأ؟ أي دليل تودون رؤيته وسماعه؟"

( سامي يحاول التظاهر بالذكاء والهدوء، مقترباً منها يحاول احتضانها: "ماذا بكِ يا عزيزتي؟"

– تصفعه مريم على وجهه دون أن تشعر:

" أنت تحديداً شيطانهم الأكبر والأول ، ابتعد عنّي ."

تضغط مريم على زرّ جهاز التحكم ويبدأ تسجليهم الصوتي يعرض على الشاشة، حوارهم وهم يخططون لتخريب فرامل سيارتها والتنفيذ لذلك فعلاً ..

(الجو يسوده التوتر والقلق، والدهشة تكسو ملامح الجميع)

ينهض الأب بملامح حزينة غاضبة

: ما هذا؟ ماذا أسمع؟

– مريم بصوتٍ منكسر :"هذا من كاميرا الحديقة، ليلة الحادث

أبناؤك أرادوا قتلي يا أبي،بدافع الحقد والطمع ومن أجل المال"

( يتراجع الأب بخطواتٍ متثاقلة،مذهولاً مما سمع )

– راشد يحاول الدفاع عن نفسه:

" كنّا نشعر بالحقد فعلاً، كان لديها كل شيء ، شركات،أملاك ، نفوذ ، استثمارات..ونحنُ أشباه موظفين لديك .

– الأب بحزنٍ شديد:

" ولكن كل ما تملك هو بتعبها وحنكتها وذكائها يا غبي."

– فهد بتوتر:

" كانت مجرّد محاولة،لم نرد أن تنتهي الأمور هكذا."

– سامي بحقد :" كنّا نريد مالها وثروتها فقط."

– مريم بصوتٍ مرتجف وعيناها تدمعان:

" أنتم ،،سرقتم حياتي.. جعلتموني عاجزة، ليس بسبب الشلل فقط ، بل لأنني صدّقت أن لدي إخوة."

– الأب بصوتٍ منكسر:

"ما فعلتموه جريمة لا تغتفر، ولن تنجوا بفعلتكم هذه أبداً.

وسأكون أنا أول الشهود ضدكم .

(تغلقُ مريم عينيها للحظةٍ وتتنفس بعمق وكأنها بدأت تستعيد شيئاً من قوتها المفقودة) .

– بعد أسبوع من لحظة المواجهة..

من داخل المحكمة ، هدوء مهيب ،يقرأ القاضي الحكم ومريم جالسة بثقةٍ وشموخ على كرسيها بجوار والدها .

– القاضي بصوتٍ واضح :

" بعد الاطلاع على الأدلة وسجلات المحكمة، تُدان الجهة المتورطة : سامي ، فهد وراشد - بالشروع في القتل والتآمر للاستيلاء على أموال أختهم الشخصية، يحكم عليهم بالسجن لمدة خمس عشرة عاماً مع النفاذ.

حُكمت المحكمة..

( لحظة صمت .. سامي وفهد وراشد يبدو عليهم الانهيار ،

تُغلق مريم عينيها للحظة ثم تفتحهما بهدوء، يد والدها تمسك بيدها وكأنمّا يقول: أنا هنا ولن أترككِ أبداً .

تتجه مريم إلى اخوتها ، بصوتٍ يملؤه الحزن والكره :

" كان باستطاعتي الانتقام منكم وتسبب الشلل لحياتكم وكل مشاعركم ، ولكن عدل الله أقوى مني ومنكم .

بعد فترةٍ وجيزة من الحكم ، تجلس مريم على كرسيها المتحرك في حديقة المنزل ،نهارٌ مشمس ولطيف .

طاولة عملٍ خشبية أنيقة ، أوراق عمل ، حاسوب محمول.

والدها في الجهة المقابلة يبتسم ويراقبها .

– مريم بحماس وبصوتٍ واثق عبر الهاتف:

" حسناً ، سنبدأ هذا المشروع الأسبوع المقبل بإسمٍ جديد وبداية جديدة."

(تُنهي المكالمة وتنظر نحو والدها وبابتسامة لطيفة :

" أتعلمُ يا والدي؟ الحادث كسّر جسدي، لكن كشف لي الحقيقة كلّها ، وعرّفني على نفسي من جديد وأدركتُ كم أنني أقوى مما كنت أتوقع ."

– الأب بصوتٍ دافئ: " وأنتِ يا ابنتي تُثبتين لي أنك أقوى من أي جرح وأي كسر ."

(تبتعد الكاميرا تدريجياً، مريم ووالدها يضحكان بهدوء ..

ضوء الشمس يمر بين الاشجار ، خلفية ناعمة ونصٌّ يظهر على الشاشة :

" قد يسقط الجسد ، لكن الروح لا تُهزم ..

العدالةُ قد تتأخر ، لكنها دوماً تجد طريقها.."

* نهاية الفيلم